

لقد كانت السيادة في النصف الاخير من القرن الماضي لتيار الاندماج القوي بلا جدال ، وقد أسقط الاصلاحيون الاندماجيون الامل السياسي اليهودي في العودة الى صهيون ، وجاءت الصهيونية في هذه المرحلة كحركة انشقاق وردة وخروج على التيار الاندماجي الكاسح ، وكان لا بد لها أن تزواج بين الرؤية الدينية السلفية والتراثية وبين العصرية العلمانية حتى تجد لها مكانا تحت الشمس ، وهي تدعى وراثه عصر التحرر والقومية ، ويتعلق باهداب هذا العصر ، بينما هي في الحقيقة حركة ردة - وخيانة للتحررية والقومية معا ، لأنها تنتمي منذ البداية للقومية الرجعية الشوفينية ولأنها عندها تبحث عن التمايز ، وتعطي لنفسها رسالة خاصة قومية وعالمية تدفع باليهود خارج قومياتهم ومجتمعاتهم ، وهي ان تحاول الاندماج في روح العصر ، ترتد بهذه الروح الى عصور سحيقة .

والواقع ان النصف الاخير من القرن يشهد تحول الجامعة السلافية الى عقيدة غالية بين المثقفين الروس ، وهو مذهب مثله مثل الاصل « الجامعة الجرمانية » ينزع الى العصور الوسطى والقومية الرجعية التي صنعت مذابح ١٨٨١ - وكانت الجامعة السلافية ترى أن القبيلة هي بطبيعتها « شعب مختار » وأن جميع اعضائها مهما كانوا هم بحكم المولد السلالة الحقيقية للسوبرمان فوق الجموع المنحطة . وكانت معاداة السامية جزءا لا يتجزأ عن هذه الايديولوجية القبلية . فقد كان العداء لليهودي ليس لمجرد أنه غريب ، بل لأن دينه يمثل الصيحة المقابلة : أنه شعب مختار ، وهو مصدر كل اخلاق الهية، يتعين على البشر طاعتها ، ومن هنا كان اليهودي يبدو في صورة العدو بالدرجة الأولى في حرب دينية .

والطريف ان احدها عام يغترف من هذا المنهل القبلي والعرقي ويتأثر به كل التأثر ، يرد على نيتشه الذي ينكر الاخلاق ويعتبرها من صنع الضعفاء ويدعو الاقوياء الى الخروج على هذه القيود المفروضة . باسم الاخلاق . وهو في رده ورفضه لهذه المقولة التي تبدو همجية يعود ليقف على نفس الارض التي يقف عليها نيتشه ولكن من طريق مقابل ، فاحدها عام يرى في مقولة نيتشه قلبا للقيم اليهودية ، ذلك لأن معناها ان القوة متفوقة على الروح ، لذلك فهو يقدم في مقابل سوبرمان نيتشه القوي سوبرمان آخر يهودي هو « الصديق » وهو البطل الاخلاقي .. واذا كان السوبرمان ضرورة للحياة الانسانية فلا بد أن توجد بيئة ملائمة له . وهناك هذا الشعب الذي تجعل منه ميزاته وسماته الموروثة اكثر صلاحية من غيره للنمو والتقدم الاخلاقي وهو الشعب اليهودي فالاخلاق تسيطر على حياته ، وهي اخلاق تسمو على غيرها ، وعلى النمط التقليدي للاخلاق .

والحقيقة أن احدها عام يستعير مفاهيم نيتشه بالضبط عن السوبرمان ويضيف اليها مفاهيم سبنسر البيولوجية فقومية غير اليهود تبني على القوة ، وفي مقابلها قومية اليهود التي تبني على الروح تعدد بقوة المادة . والقومية عنده تشتمل على امرين : القومية بشكل عام وهذه القومية بلغة المنطق الصوري الارسطي جنس Genus تندرج تحته انواع وافراد ، أي جميع امم العالم ، وهناك في المقابل قومية الروح وهو ، جنس فريد Unique Genus لا يوجد منها الا نوع واحد ، هو النوع اليهودي . ان احدها عام يلتقي تماما بفكر نيتشه والجامعة السلافية القبلي والعرقي ولكن من الطريق الآخر « ومن هنا يمثل مفهوم الثورة المضادة بوضوح (٢٢) .